القوة الحرفية المنجزة وعلم اللغة النفسي

د. بدر بن سالم بن جميل القطيطي

مقدمة العمل

تنسب الدراسات اللغوية الحديثة فضل تأسيس علم اللغة النفسي مجالا يعتد به في الدرس اللغوي إلى جهود المدرسة الإنجليزية، والمدرسة الألمانية، وما قدمته المدرسة اللغوية الأمريكية من أعمال لغوية على يد اللغوي بلومفيلد (Bloomfield) حامل لواء السلوكية اللغوية، الذي صب اهتمامه على بنية اللغة الخارجية، وجعل الحدث الكلامي سلوكا خاضعا للملاحظة والتفسير. ثم جاءت - بعد بلومفيلد (Bloomfield) - المدرسة التوليدية التحويلية التي رفضت الجوانب السلوكية التي صَيَّرَت الكلام سلوكا ظاهريا آليا تحكمه قوانين شكلية محددة لا صلة لها بالمعنى، أو العقل، وهذا ما جعل اللغوي الأمريكي تشومسكي (Chomsky) يشرح اللغة من الداخل، ويركّز في دراسته على الجانب الخلَّاق من الملكة اللغوية عند البشر، فاعتنى عناية كبيرة بالسلوك اللغوي النفسي عند حدوث الأداء اللغوي، فاستوت معالم اللغويات النفسية على يديه، حَتَّى نُسِبَ إليه الفضل - أولا وأخيرا - في نشأة علم اللغة النفسي، وأصبحت مؤلفاته مرجعا لمن أراد الخوض في مجال اللسانيات النفسية. غَدا هذا القول من المُسَلَّم به، والمتفق عليه في الدرس اللغوي، وكأن تراثنا قد خلا من أصول هذه العلم، ولم يَعْرِف علماؤنا الأبعاد النفسية في دراستهم اللغوية، ولم يدركوا ما أدركته التداولية من نظريات وما وصلت إليه مختبراتهم اللغوية من حقائق، إلَّا أنَّ قراءة نصوص تراثنا العربي قراءة فاحصة تؤكد أن أصول النظريات اللسانية متأصلة في الدرس اللغوي العربي تأصيلا علميا - وإن لم تُؤَطِّر هذه النظريات تأطيرا محاكيا تأطير النظريات الحديثة - غير أن العرب في تنظيرها كانت تؤسس لما يدرس في الدرس اللغوي الحديث من نظريات ومبادئ، فمن يطالع التراث لا يعدم للنظرية التواصلية والمناهج النفسية أثرا في الموروث اللغوي. فَرَّقَ علماء العربية بين اللغة الانفعالية وتداعياتها النفسية، واللغة النحوية وقواعدها المنطقية، واللغة الفاعلة واستلزامها الحواري على نحو أدق مما نجده عند فندريس في كتابه (اللغة)، فاختاروا عبارتهم، وجعلوا لكل مقام مقالا؛ مراعاةً منهم أحوال المخاطب النفسية، فاختلفوا إلى مسائل اللسانيات التواصلية، وزادوها تفصيلا، وعمقا، وهذا يجده القارئ في أول أبواب الكتاب لسيبويه حيث تعرَض إلى قضية السياق، تحت عنوان "هذا باب اللفظ للمعاني"١. إن مبدأ الكيفية الذي نادى بها غرايس (Grice) في أطروحته لا يخرج عن عباءة باب الاستقامة في كتاب سيبويه، ومبدأ الكمية كان واضحا في بلاغة العرب، فدرسوه تحت مصطلح الإيجاز، وليس هذا القول بغريب على أناس تجاوزوا في معالجاتهم اللغوية البحث في بنية الخطاب الصورية إلى تناول الكلام في كل حيويته وعفويته، واهتموا ببنية المتكلم، وخلفياته المعرفية، والتفتوا إلى المخاطَب بكل ما له من فهم وقدرة على التأويل، فعلى هذا أسسوا فكرهم، فأدركوا أسس علم اللغة النفسي، وأحاطوا بأبعاد النظرية التداولية. هذا ما يسعى إليه العمل المعنون بـ(القوة الحرفية المنجزة وعلم اللغة النفسي)، وقد بني على مبحثين رئيسين، هما: مقاربة الأداء المنجز في الدرس اللغوي الحديث، والقوة الحرفية المنجزة بين الإفهام والإقناع في التراث العربي. إن هذا العمل ليس دعوى لإهمال ما وصل إليه الدرس اللغوي الحديث، أو الانفصال عنه، بل يأتي ليؤكد ضرورة الإفادة من نتائج المخابر اللسانية، والاتكاء عليها؛ بهدف المزاوجة بين القديم والحديث في خدمة نصوص هذه اللغة، ولا سيما في دراسة تراكيب القرآن الكريم، والحديث الشريف.

المبحث الأول: مقاربة الأداء المنجز في الدرس اللغوي الحديث.

يقول رومان جاكبسون (R. Jakobson): "من الصعب على اللغوي في العصر الحديث أن يقتصر على موضوع دراسته التقليدي دون الاهتمام بالمجالات المشتركة بين اللغة وغيرها من العلوم الإنسانية، وحتى العلمية كالفيزياء، والفيزيولوجيا"٢، وهذا يؤكد العلاقة الرابطة بين علم اللغة والعلوم المختلفة، حيث اقتبس علم اللغة بعض طرقها

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

في معالجة الظواهر اللغوية، وأفاد من النتائج التي وصلت إليها المخابر اللغوية، والدراسات العلمية ومن أهم العلوم التي اتصل علم اللغة بها علم النفس، حيث يلجأ المهتمون بالدراسات اللغوية إلى معطيات علم النفس في تجاوز العوائق التي يتعرضون لها في أبحاثهم٣.

إنَّ الصلة وثيقة بين علم اللغة وعلم النفس؛ لأن المواقف النفسية التي يمر بها كل من المتكلم والسامع لها أثرها البالغ في التعبير والاستيعاب٤، إذ تنعكس حالته النفسية على ملامحه ولغته، فالعرب تقول: نطقَت الحال بكذا، وأخبرتني أساريرُ وجهه بما في ضميره، وكلَّمتني عيناه بما يحوي قلبه، فتجد الحال وصفًا هو شبيه بالنطق من الإنسان، وذلك أن الحال تدلُّ على الأمر، ويكون فيها أَمَاراتٌ يعرف بها الشيء، كما أن النطق كذلك، وكذلك العين فيها وصف شبيه بالكلام، وهو دلالتها بالعلامات التي تظهرُ فيها وفي نظرها وخواص أوصاف يُحْدَس بها على ما في القلوب من الإنكار والقبول، يقول ابن حزم: "واعلم أن العين تنوب عن الرسل، ويدرك بها المراد، والحواس الأربع أبواب إلى القلب، ومنافذ نحو النفس، والعين أبلغها وأصحها دلالة وأوعارها"٥.

العين باب النفس، وهي المُنَقِّبَة عن سرائرها، والمعبرة لضمائرها، والمعربة عن بواطنها، "ألا ترى إلى حديث الجمحي؟ حُكِي عن بعضهم أنه قال: أتيتُ الجمحي؛ أستشيره في امرأة أردت التزوج بها، فقال: أقصيرة هي أم غير قصيرة؟ قال: فلم أفهم ذلك، فقال لي: كأنك لم تفهم ما قلتُ، إنّي لأعرِف في عين الرَّجل إذا عَرَف، وأعرِفُ فيها إذا أنكر، وأعرِفُ إذا لم يعرف ولم يُنكر، أمَّا إذا عرف، فإنها تخَاوَصُ، وإذا لم يعرف ولم ينكر فإنها تَسْجُو، وإذا أنكر فإنها تجحظُ"٦.

تؤثر المواقف النفسية في خطاب المتحدث فتكون جمله منتظمة أو مضطربة، وقد يسرد كلامه سريعا أو بطيئا، في المقابل قد يستوعب المتلقي كل ما يسمعه، وقد يستوعب بعض ما يسمعه من محدثه؛ وكل ذلك تبعا لصفاته الذهنية، وحالته النفسية من انتباه وغفلة، أو ذكاء وجهل، أو راحة وقلق، أو غيرها من الصفات، والمواقف النفسية المختلفة التي يظهر أثرها واضحا فيما يطلق عليه اللغة الانفعالية؛ أي: الأداء، وذلك في مقابل اللغة النحوية؛ أي: النظام، أو اللغة المنطقية التي تعنى بسلامة التركيب، وفقا لقواعد معينة، فهناك قوتان متقابلتان: قوة طرد عن المركز تمثله اللغة الانفعالية؛ أي: لغة الاستعمال، ولغة جذب نحو المركز تمثله اللغة المنطقية؛ أي: اللغة النحوية.

تتميز اللغة الانفعالية بأنها تقتصر على الاهتمام بإبراز رؤوس الفكرة، فهي وحدها التي تطفو، وتسود الجملة، أما الروابط المنطقية التي تربط الكلمات بعضها بعضا، وأجزاء الجملة فإما ألا يدل عليها إلا دلالة جزئية بالاستعانة بالتنغيم والإشارة إذا اقتضى الحال، وإما ألا يدل عليها مطلقا، ويترك للذهن عناء استنتاجها٧.

إن هذه اللغة المتكلمة؛ أي: اللغة الانفعالية تقترب من اللغة التلقائية، ويطلق هذا الاسم على اللغة التي تنفجر تلقائيا من النفس تحت تأثير انفعال شديد، ففي هذه الحالة يضع المتكلم الألفاظ المهمة في القمة إذ لا يتيسر له الوقت، ولا الفراغ اللذان يجعلانه يطابق فكرته على تلك القواعد الصارمة، قواعد اللغة المنظمة؛ أي اللغة المنطقية، وعلى هذا النحو تتعارض اللغة الفجائية مع اللغة النحوية٨؛ فالمطابقة -مثلا- شرط لا بد منه في اللغة المنطقية، أي في النظام، ومقتضيات النحوية، غير أن الأمر قد لا يكون بالضرورة كذلك في لغة الاستعمال، إذ اللغة الإنسانية ليست بناء منطقيا جامدا ولذلك تكون لغة الاستعمال المشحونة بالانفعال في نزاع مستمر مع اللغة المنطقية؛ لخضوعها للتأثيرات الفردية تميل دائما إلى الابتعاد عن المثل الأعلى الذي تحتذيه اللغة المنطقية المشتركة، يقول الشايب: "إن المطابقة الصرفية بين الوحدات الصرفية مطلب تفرضه اللغة المنطقية وتوجبه. ولكنها ليست مطلبا في اللغة الانفعالية"٩.

يرى بعض الدارسين أن اللغة الانفعالية أسبق ظهورا من اللغة النحوية، وهذا واضح في لغة الطفل١٠، حين يبدأ باستخدام الألفاظ الاصطلاحية أو كلمات، وهي -غالبا- كلمات يقومون بابتكارها، عندما يدركون الفكرة السحرية أن أصوات معينة لها دلالة وحيدة١١، فالطفل يُعَبِّرُ عن الفكرة في بدايتها تعبيرا مختلطا بعناصر انفعالية، قد تضطرب فيها القواعد النحوية، ثم يتلاشى الانفعال تدريجيا إلى أن يظهر الكلام واضحا مترابطا، محكما بالقواعد النحوية.

تطورت الدراسات اللغوية النفسية تطورا واضحا، فظهر فرع مستقل من فروع الدراسات اللغوية التطبيقية، عُرِفَ بعلم اللغة النفسي (psycholinguistics)، وهو يتكون من علمين، هما:

الأول: علم اللغة المتعلِّق بلغة الإنسان، وما

يتصل بها من فروع وقضايا متصلة باللغة.

الآخر: علم النفس المتعلق بدراسة القواعد العامة التي تحكم سلوك الإنسان بوجه عام.

عند جمع العلمين – علم اللغة النفسي (psycholinguistics) – يصبح معنى المصطلح الدلالي هو " العلم الذي يسعى إلى دراسة الملكة اللغوية دراسة علمية تجريبية، ومجاله كيفية اكتساب اللغة، وتعلمها، ودراسة السبل التي بها يتواصل البشر عن طريق هذه اللغة"١٢، فمهمة هذا العلم "دراسة اكتساب اللغة، وكيفية فهمها، وإنتاجها، وفقدانها"١٣.

يتبين من هذا أن مهمة علم اللغة موجهة إلى الرسالة التي يريد المتكلم أن ينقلها إلى السامع، في حين أن من مهمات علم النفس دراسة العمليات العقلية التي تسبق إنتاج الرسالة١٤، وما يتعلق بالقوة الحرفية المنجزة من استلزام حواري، لأن "الإنسان لا يستخدم اللغة فحسب للتعبير عن شيء، بل للتعبير عن نفسه أيضا"١٥.

يُعَدُّ علم اللغة النفسي أو اللغويات النفسية (psycholinguistics) من أهم العلوم الحديثة التي اتكأ عليها علم اللغة الحديث في تفسير كثير من القضايا اللغوية، ولا يزال مع التقدم الذي أحرزه في مجال اللسانيات التطبيقية لم يبلغ بعد ما يمكن أن يقال: "إنه المرحلة العلمية النهائية، والعلة في ذلك أن النفس الإنسانية معقدة أشد التعقيد، ويصعب إخضاع كثير من ظواهرها للقياس والتجارب، وهما شرطا العلم الصحيح بمعنى الكلمة"١٦.

بدأت معالم علم اللغة النفسي بالظهور أولا في رحاب المدرسة الإنجليزية، ثم تجلت في المدرسة الألمانية، فالولايات المتحدة الأمريكية١٧، غير أنه لم تتضح معالمه، ولم يستقل استقلالا تاما إلَّا في النصف الثاني من القرن العشرين؛ أثر ظهور الاتجاه المعرفي الفطري في علم اللغة الذي يعد ثمرة الالتقاء الحقيقي بين علم اللغة وعلم النفس١٨، فانتشر بين اللغويين المشتغلين بالأبحاث النفسية، والمهتمين بحالة الإنسان أثناء عملية التواصل، وما له من صلات نفسية وعقلية، وإدراك الأبعاد النفسية عند حدوث التواصل، ويعزي بعض اللغويين الفضل في نشأة هذا الفرع من الدراسات اللغوية إلى عالمي النفس ميلر (Miller) وأزجود (Osgood)١٩، إلا أن أكثر الدراسات اللغوية تعيد فضل نشأة علم اللغة النفسي إلى اللغوي الأمريكي ليونارد بلومفيلد (Bloomfield Leonard).

اهتم بلومفيلد (Bloomfield) حامل لواء السلوكية اللغوية باللسانيات التطبيقية التي تسعى إلى دراسة الملكة اللغوية دراسة علمية تجريبية، ترتكز على الملاحظة والمشاهدة، مهتما بالجانب الممكن ملاحظته علانية؛ فمزج دراسة اللغة بمعطيات علم النفس، فهجر الاتجاه العقلي في دراسته اللغة، وترك البحث عن الدلالة في السلوك اللغوي الظاهر؛ لأنها "تتجه بالباحث اللغوي نحو تفسير الظواهر اللغوية عبر فرضيات سيكولوجية فلسفية غامضة في ذاتها مضللة إن اعتمد عليها"٢٠؛ لذا درس بلومفيلد (Bloomfield) اللغة من منظار أنثروبولوجي وعلمي، فبحث عن ماهية الدلالة وآلية حصولها، وتبنى المذهب السلوكي (Behaviouristic school) في تحليل الكلام الذي يقوم على "اكتشاف ما سوف يفعله الفرد في موقف معين، أو حين يرى شخصا ما يفعل شيئًا، وهذه الطريقة تمكننا من التنبؤ بالاستجابة حين نعرف (المنبه) أو المثير"٢١.

غَدَت اللغة في نظر بلومفيلد (Bloomfield) عادة سلوكية قابلة للملاحظة والتفسير، مثل أي عادة سلوكية أخرى، فلفت الانتباه إلى أهمية الموقف والاستجابة التي تستدعى لدى السامع في تحديد معنى الصيغة اللغوية، فهو يرى أن الصيغة اللغوية هي "الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعيها من السامع، فعن طريق نطق صيغة لغوية يحث المتكلم سامعه على الاستجابة لموقف، هذا الموقف وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي للصيغة"٢٢.

ليدلل بلومفيلد (Bloomfield) على هذا السلوك الفيزيولوجي جاء بمثاله المشهور قصة (جيل وجاك)٢٣ التي تتكون من ثلاث مراحل مرتبة زمنيا: (الأحداث العملية السابقة على العمل اللغوي) ، (الأعمال اللغوية، أي: الكلام أو الخطاب) ، (الأحداث العملية التي تلي العمل اللغوي).

يتحصل المعنى من خلال الربط بين الموقف وما يستدعيه من كلام المتكلم، ويطلق بلومفيلد على كل الأحداث التي سبقت كلام الفتاة، وتتعلَّق بها (المثير)، ويسمي رد فعل السامع بما يستدعيه من كلام، أي: كل الأحداث العملية التي تولَّدت عن خطاب الفتاة (الاستجابة)، وهذا يؤكد أن سلوكية بلومفيلد (Bloomfield) تنفذ في تحليلها اللغوي إلى عناصر غير

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

لغوية مرتبطة بالكلام، وتعدها عنصرا لازما للوصول إلى المعنى، فهي لا تتجاهل شخصية المتكلم، وشخصية السامع، وبعض الظروف المحيطة إلا أنها تعبر عنها بمصطلحاتها الخاصة.

أطلق علماء المذهب السلوكي على اللغة مصطلح السلوك النطقي أو السلوك اللغوي٢٤ حيث جاء بعد بلومفيلد (Bloomfield) عالم النفس الأمريكي سكينر (Skinner) صاحب نظرية الاشتراط الإجرائي، ليؤسس بكتابه السلوك اللفظي نظرية اللغة السلوكية٢٥، إلا أن أنصار المدرسة التوليدية التحويلية (Transformational Rules Generative School) عابوا عليها الجوانب السلوكية التي غدا معها الكلام سلوكا ظاهريا آليا تحكمه قوانين شكلية محددة لا صلة لها بالمعنى، أو العقل، فهي جعلت دراسة المعنى أضعف نقطة في الدراسة اللغوية، وأن من الأجدر أن يحدد مجال علم اللغة بالمادة التي يمكن ملاحظتها وتجربتها وقياسها٢٦، فالوصول إلى المعنى يتطلب معرفة دقيقة بعالم المتكلم، وهو أمر لم تصل إليه حدود المعرفة الإنسانية٢٧؛ لهذا صبَّ أنصار المذهب السلوكي اهتمامهم على بنية اللغة الخارجية، بجعلهم الحدث الكلامي سلوكا خاضعا للملاحظة والتفسير.

جاء المنوال التوليدي ناقدا المذهب السلوكي خاصة، والمناويل البنيوية عامة، فالتوليديون يريدون من التحليل اللساني أن يشرح اللغة، ويعللها من الداخل، وليس من الخارج كما فعل البنيويون٢٨، فنظريتهم السلوكية لا تفسر الجانب الخلَّاق من الملكة اللغوية عند البشر، ولا تفسر سرعة اكتساب الطفل هذه الملكة.

يُعَدُّ العالم اللغوي تشومسكي (Chomsky) رائد الاتجاه التوليدي التحويلي، وإليه ينسب٢٩؛ وقد نظر إلى اللغة على أنها مجموعة من الأصوات تنتظم في كلمات وجمل يعبِّر بها المتكلم عن أفكاره الذهنية، أي: أن اللغة نتاج عقلي، وقدرة فاعلة فطرية مختصة بالإنسان وحده، والقواعد مكنة أو آلة مولِّدة تستطيع أن تولد كل الجمل النحوية، لذلك فإن المتعلم يحتاج فقط إلى القاعدة التركيبية التي تمكنه من فهم وإبداع ما يريد من الجمل في أي لغة يشاء، وعليه فإن ما يظهر على السطح (البنية الشكلية) ليس إلا محصلة لعدد من العمليات الداخلية٣٠.

عَنَى تشومسكي (Chomsky) عناية كبيرة بالسلوك اللغوي الداخلي فاتضحت معالمه على يديه، يقول جون ليونز (John Lyons): "إن لتشومسكي يرجع الفضل أولا وأخيرا في نشأة علم اللغة النفسي"٣١، فأصبحت مؤلفاته مرجعا لمن أراد الخوض في مجال اللسانيات النفسية؛ لأن "اهتمامها بظاهرة اكتساب اللغة يعود إلى قواعد تشومسكي التوليدية"٣٢، حيث فرَّق بين مصطلحي القدرة اللغوية (Competence)، والأداء اللغوي (Performance)٣٣.

إن القدرة أو الكفاية اللغوية (Competence) هي معرفة الشخص لغته، أي: ملكة معرفة اللغة، فهي المعرفة اللغوية المتعارف عليها بين المتكلم والمستمع والموجودة في الدماغ البشري، فهي عبارة عن نظام القواعد النحوية الموجودة في الدماغ الإنساني، ويمكن للمرء - من خلالها - أن يعرف لغته شكلا ومضمونا بوجهيها الكلامي والفهمي، فهي نظام القواعد النحوية الذي يولد الجمل اللغوية الصحيحة، ثم بالتالي يفسرها تفسيرا دلاليا صحيحا ومفهوما، فيستطيع الفرد إنتاج عدد غير محدود من الجمل، وفهم هذه الجمل، وتحديد الخطأ، وتلمُّس الغموض الكامن في الناتج اللغوي، فهي المعرفة الضمنية بقواعد اللغة التي تقود عملية التكلم، أو هي القدرة على الجمع بين الأصوات اللغوية، ومعانيها الضمنية في نسق وثيق مع قواعد اللغة.

أما الأداء اللغوي (Performance) فعملية استخدام هذه القدرة في نسق محدد، أو استعمال اللغة الحقيقي في حالات ملموسة، أي: هو استعمال اللغة الفعلي في سياق أو حالات محددة، فهو الوجه الظاهر المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة في اللغة، أو هو استعمال اللغة الآني ضمن سياق معين، وفيه يُعيد المتكلم بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية التي تقود عملية التكلم.

هكذا تَمَثَّلَ علم اللغة النفسي عند رواده في الفكر الغربي الذين ربطوه بالسلوك الإنساني، وهذا لا يبتعد عن موضوع البحث؛ لأن "اهتمام علم اللغة النفسي واقع على عملية الكلام، وفنية الإبلاغ لدى المتكلم، وما يتبعها من عملية الترميز المرسلة التي تتفق وأهداف المتكلم، وتتماشى مع مقاصده، لينتهي عند عملية الالتقاط، ومحاولة تحليلها وفهمها من قبل المستمع"٣٤، وذلك بهدف الإقناع والتأثير في نفوس المخاطبين، وهذا من الأسس المتأصلة في تراثنا، حيث تؤكد نصوص التراث أن تراثنا اللغوي قد أَسَّس لما يعرف في الدرس اللغوي الحديث بمصطلح (علم

اللغة النفسي)، وإن لم يصطلحوا على تسميته؛ فالمعارف الإنسانية تراكميَّة، فعلماء العربية الأوائل - ومن خلال معالجاتهم قضايا اللغة - اعتمدوا الأسس النفسية نفسها التي ترشحت لنا عن اللسانيات النفسية، أو ما تنادي به التداولية الحديثة، فجاء تفكيرهم اللغوي منهجا علميا قائما على الأدلة والبراهين، ولعل هذا الجهد العلمي يبرز واضحا عند الجاحظ، والجرجاني، والسكاكي، وابن الأثير، وحازم القرطاجني، وغيرهم.

ليس هذا بغريب على فِكْرٍ تَخَطَّى أصحابه النظر في بنية الخطاب السطحية إلى تناول الكلام في بنيته العميقة، وما تؤول إليه المعاني، فاهتموا بعناصر الكلام، لذا التفتوا إلى أحوال المتكلم النفسية، وأبعاد المخاطب الاجتماعية، وركائز إنجاح الرسالة، فعلى هذا أسسوا فكرهم، مما يقوي حجة إدراك هؤلاء العلماء أسس علم اللغة النفسي، وإحاطتهم أبعاد النظرية التداولية، وحضورها القوي في تراثنا العربي.

المبحث الثاني: القوة الحرفية المنجزة بين الإفهام والإقناع في التراث العربي.

إن قراءة نصوص تراثنا العربي قراءة فاحصة تؤكد أن أصول نظريات علم اللغة النفسي متأصلة في الدرس اللغوي العربي تأصيلا علميا - وإن لم تُؤَطِّر هذه النظريات تأطيرا محاكيا تأطير النظريات الحديثة - غير أن العرب في تنظيرها كانت تؤسس لما يدرسه علم اللغة النفسي، وما يعالجه التداوليون في مخابرهم من مبادئ، من يطالع التراث لا يعدم لهذا التأصيل أثرا في الموروث اللغوي، وإذا رمت بيانه في أوساط الدارسين العرب، فإن المدخل إليه هو أضرب الخبر في باب البلاغة العربية، فتقسيمهم الكلام إلى ثلاثة أضرب مبني على مراعاة مقام المتكلم، وحالته النفسية، وما جواب أبي العباس المبرد للفيلسوف الكندي٣٥ إلا دليل على إدراكهم الأبعاد النفسية التي تنادي بها التداولية في ترتيب الكلام، وإلقائه على المستمع، فعالج قضاياه في أبواب مخصصة، وملازم متناثرة، فأدركوا بحسهم اللغوي الأسرار النفسية في ترتيب مفردات التراكيب، فقرروا أنه "إذا كان الخبر ليس يظنُّ المخاطب خلافه لم يحتج إلى (إنَّ)، وإنما يحتاج إليها إذا ظنَّ السامع الخلاف، فأما دخوله اللام معها في جواب المنكر، فلأن الحاجة إلى التأكيد أشد"٣٦.

إن اختلاف المعنى المراد التعبير عنه، يوجب تباين اللفظ، أو اختلاف الترتيب، وقد كان واضع اللُّغة مدركا أن عملية الحديث يتنازعها قطبان مهمان، هما: المعنى المُرَاد التحدث عنه، واللفظ المُعَبِّر عن هذا المعنى؛ فالنظم عملية فكرية لا بد له من عمليتين: ٣٧

الأولى: ترتيب المعاني في النفس.

الأخرى: ترتيب الألفاظ في النطق.

ينتقس المتكلم اللفظة الموصلة مراده، والموضحة مبتغاه، فإذا اختلف المعنى المراد التعبير عنه؛ لزم ذلك انتقاء لفظة مناسبة، أو مخالفة في ترتيب الألفاظ في التركيب، فجوهر الكلام حالة نفسية، وتعبير وجداني، فما ننطقه هو تصوير ما في النفس من معنى، وانعكاس لحالتها الشعورية التي نعيشها، أو هو ظل لهذا الكلام النفسي، وامتداد تأثيره في المتلقي، قال ابن خلدون: "إن كلامهم واسع، ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة، ألا ترى أن قولهم: (زيد جاءني) مغاير لقولهم: (جاءني زيد) من قبل أن المتقدم منها هو الأهم عند المتكلم، فمن قال: (جاءني زيد)، أفاد أن اهتمامه بالمجيء قبل الشخص المسند إليه، ومن قال: (زيد جاءني) أفاد أن اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند، وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام، من موصول أو مبهم أو معرفة، وكذا تأكيد الإسناد على الجملة، كقولهم: (زيد قائم)، و(إن زيدا قائم)، و(إن زيدا لقائم)، متغايرة كلها في الدلالة، وإن استوت عن طريق الإعراب"٣٨.

إن الواقف على عتبات تراثنا العربي، والقارئ كتبه يدرك أن البلاغة العربية مرت بثلاث مراحل مهمة:٣٩

المرحلة الأولى: مرحلة البيان المهتمة ببلاغة الإقناع.

ويمثلها في نظامنا البلاغي تراث أبي عثمان الجاحظ الذي يُعَدُّ مؤسس البلاغة العربية، وكتاب البيان والتبيين النص المؤسس للبلاغة العربية٤٠، يقول حمادي صمود: "لما كانت غاية المتكلم من السامع الفهم والإفهام - بالدرجة الأولى - تركز جهد أبي عثمان الجاحظ على شفافية الخطاب، وهي قدرة العلامة والنص على الإشارة إلى ما سواهما، من هنا انطبعت محاولة الجاحظ بطابع نفعي واضح، يمكن أن يُعَدَّ - بدون مبالغة - أكمل محاولة في التراث اللغوي العربي لتأسيس ما يسمى بنفعية الخطاب"٤١.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

تمثل الوظيفة التأثيرية في المتلقي والإقناع جانبًا مهمًا في التداولية، فانصب مفهوم البلاغة على الإفهام والإيضاح، وقد ينضاف إليهما الإثارة والتشويق٤٢، لذا جعل محمد العمري التداولية بُعْدًا جاحظيًّا في أساسه٤٣؛ فقد اهتمَّ الجاحظ بالوظيفة التداولية؛ أي: بالوظيفة الإقناعية والإفهامية، فهو يرى أن: "مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هي الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"٤٤.

نقل الجاحظ جواب ابن المُقَفَّع، وقد "سُئل: ما البلاغة ؟ قال: اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث"٤٥، فالدلالة كلما كانت أوضَحَ وأفصَحَ، والإشارة أَبْيَن وأنور، كانت أنفع وأنجع في البيان، لذا افتتح الجاحظ باب البيان بقوله: "المعاني القائمة في صدور الناس، المختلجة في نفوسهم، والمتصورة في أذهانهم، المتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لا يعرفُ الإنسانُ ضميرَ صاحبه، ولا حاجةَ أخيه وخليطِه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أمره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلَّا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذِكْرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها"٤٦.

قسم أبو عثمان الجاحظ البيان إلى ثلاث وظائف، هي:٤٧

١- الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة حياد)، إظهار الأمر على الوجه الإخبار، بقصد الإفهام.

٢- الوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف)، تقديم الأمر على وجه الاستمالة، وجلب القلوب.

٣- الوظيفة الحجاجية (حالة خصام)، إظهار الأمر على وجه الاحتجاج، والاضطرار.

إن كل هذه الوظائف -على رأي بو بكري- تشكل جوهر النظرية التداولية في الدراسات المعاصرة؛ لكونها مقاربة تهتم بالتواصل بالدرجة الأول، والإقناع، والتأثير، وإيصال المعنى، وتقديم الفائدة، ومنه فإن غايتها منفعية بحته٤٨.

المرحلة الثانية: مرحلة البديع ومحاسن الكلام،

وقد انصبت هذه المرحلة على بلاغة التخييل، وغلب عليه الطابع الأسلوبي، فكان مصدرها الأول الطامح إلى صياغة نظرية؛ للفهم والإفهام، وهو ما يمثله في نظامنا البلاغي تراث ابن المعتز صاحب كتاب البديع الذي مثَّل: "أول تأليف صنف في البديع ورسم فنونه، وكشف عن أجناسها، وحدودها، بالدلالات البينة، والشواهد الناطقة، بحيث أصبح إمامًا لكل من صنفوا في البديع بعده، ونبراسًا يهديهم الطريق"٤٩.

لاحظ القرطاجني٥٠ مدى عناية العرب بعملية التحسين التي لم تتوفر لغيرهم من الأمم، ومن ذلك تماثل المقاطع في الأسجاع والقوافي؛ لما في ذلك من مناسبة زائدة على عملية البيان الأصلية، ومن ذلك نِياطتُهم حرف الترنم بنهايات الصنف الكثير المواقع في الكلام منها؛ لأن ذلك تحسينا للكلم بجريان الصوت في نهايتها، ثم يعلل لذلك بأن للنفس في النقلة من بعض الكلمة المتنوعة المجاري إلى بعض على قانون محدد راحة شديدة، واستجدادا لنشاط السمع بالنقلة من حال إلى حال، فكأن تأثير المجاري المتنوعة، وما يتبعها من الحروف المصوتة من أعظم الأعوان على تحسين مواقع المسموعات من النفوس.

يسوق - هذا كله - إلى تمكين المعنى والتأثير في المتلقي، وقد أدرك علماء العربية - قبل أن تظهر تقسيمة البلاغة الثلاثية - أن مصطلح البيان يشمل الوسائل كافة المكونة ظاهرة البلاغة، وكل ما من شأنه أن يتحقق به التبليغ، وهذا ما أكده ابن خلدون، يقول: "البلاغة هي مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في إفادة ذلك"٥١، وهي تندرج ضمن علم البيان الذي "يبحث فيه عن الهيئات والأحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال"٥٢، فموضوع علم البيان هو "الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية"٥٣.

المرحلة الثالثة: مرحلة البلاغة العاملة الجامعة بين بلاغة الإقناع والتخييل،

وهي تشير إلى الطريقة أو الوسائل المتبعة في الكلام حتى تنفذ معانيه إلى عقل السامع، وقلبه، وما يقتضيه ذلك من وضوح، ومحسنات، وإبانة، وإظهار، وإقناع٥٤، لأن الصور البلاغية "عملية أسلوبية تنشط الخطاب، ولها وظيفة إقناعية"٥٥.

تبلورت هذه المرحلة متكاملة في

مشروع القرطاجني في منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حيث سعى في كتابه إلى تشكيل بلاغة عامة مهتمة بالخطاب الاحتمالي بنوعيه التخييلي الشعري، والتداولي الخطابي، وهذا ما تنادي به المذاهب النقدية الحديثة التي ترى ضرورة معالجة بلاغة النص في ضوء المنهجيات الحديثة، ومحاولة إعادة قراءة البلاغة في ظل المكتسبات اللسانية، وهو الأمر الذي تحقق على نحو متكامل في مشروع القرطاجني حيث البلاغة: العلم الكلي٥٦.

من ينظر إلى الظاهرة البلاغية بكونها ظاهرة لغوية متجسدة في خطاب، ومتحققة فيه، خاضعة لشروط القول والتلقي، يجد نفسه أمام خطاب تواصلي يمتاز بخصائص براجماتية (تداولية) وسميائية تجعله مختلفًا عن غيره من الخطابات؛ نظرا لتعدد الطوائف والبيئات التي ألقت بظلالها على الخطاب البلاغي، فمن يقف على خطبهم في كتب الأدب يلمح هذا الاتجاه القائم على الإقناع، فمن "سَمِعَ الحجاج يخطب، ويذكر ما صَنَعَ به أهلُ العراق، يقع في نفسي أنهم يظلمونه، وأنه صادق؛ لبيانه، وحسن تخلصه بالحجج"٥٧.

إن المتكلم الناجح هو الذي يجعل كلامه مناسبا أحوال المستمعين، يستند فيه إلى الحجج التي تقوي رأيه، وتُدَعِّم دعواه، فيستميل القلوب، ويؤثر في النفوس، ويُوَجِّهُ العواطف إلى المراد، ولعل هذا القول يؤكده ما جاء في الصحيح عن النبي (ص): "إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْكُمُ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ حَكَمْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ بِشَيْءٍ فَإِنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ"٥٨، الشاهد في قوله (ص) ألحن بحجته من بعض، أي: أفصح دعوى، وأقوى على تصريف الكلام، فأقضي له بنحو ما أسمع، وقد روى الإمام أبو عبد الله أحمد - رحمه الله - في مسنده من حديث أمير المؤمنين عُمَرَ (T)، وهو يخطب الناس، فقال في خطبته: سمعت رسول الله (ص) يقول: " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ"٥٩؛ لأن بهرج القول وزخرف الحديث قد يجذبان الكثير والكثير من العقول، ويصرفانها عن المنهج السوي.

اهتمَّ علماء العربية بالخطاب البلاغي، وزادوه تفصيلا، "ولم يكن ذلك بغريب على أناس تجاوزوا البحث في مستوى ناطق العربي الصوابي، . . .، وتحروا مجالا أرحب يتواصفه البلغاء، يصدر عمن له فضل تمييز ومعرفة، ولا يرتاده إلا الأعراب الخلص، والأقوام طبعوا على البلاغة وأتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد"٦٠، وأن مقاربة هذا النوع من النصوص تأتي مختلفة؛ لمعالجتها نصوصا تحتل فيها القصدية والتأثير في المتلقي ونجاعة نقل فكرة الكاتب إلى القارئ مكانة مهمة، وفيها تتجلى القدرة في حسن ابتداء الكاتب، وافتتاح قوله، واستخدامه وسائل تعبيرية وبلاغية تسهم في نقل الرسالة اللغوية الانفعالية في نفسه إلى نفس السامع للتأثير فيه، لذا اهتم البعد التداولي البلاغي بالدرجة الأولى بطريقة إنتاج النص، فهو" يعنى بدراسة المعنى من حيث الإنتاج، والانسجام والتمكين، وقد بحث في عناصر المعنى هذه بحثا مترابطا، فعمل على توجيه الإنتاج توجيهًا يضمن انسجام الخطاب، أو حصول التمكين والاستجابة"٦١.

إن الإفهام والإقناع أهم وظائف البلاغة وغايتها، فهي تقوم على إيصال المعنى أو نجاح المتكلم في إيصال المعنى إلى قلب السامع من أجل تحقيق الجمال القولي، والتأثير في نفس المتلقي؛ فيلجأ المتكلم لتحقيق هذه المقاصد إلى طرق مخصوصة في التعبير، ويستعين بالوسائل البيانية التي تتيح له تجاوز الإبلاغ إلى التأثير في نفوس المستمعين، فيلجأ إلى الأداء اللفظي المصاحب الحديث، أو الأداء غير اللفظي، والإنسان بفطرته يملك كل هذه الوسائل وقد "زعمت الأوائل أن الإنسان إنما قيل له: العالم الصغير، سليل العالم الكبير؛ لأنه يصور بيده كل صورة، ويحكي بفمه كل حكاية"٦٢، فهو يعمل على تمثيل المعنى، وتقريبه إلى ذهن متلقيه.

استحسن أبو الحسن القرطاجني إيراد اللفظ المستعذب في الشعر، وإن كان لا يعرفه الجمهور؛ "لأنه مع استعذابه قد يفسر معناه، لمن لا يفهمه، ما يتصل به من سائر العبارة. وإن لم يكن في الكلام ما يفسره لم يعوز أيضا وجدان مفسره؛ لكونه مما يعرفه خاصة الجمهور أو كثير منهم. والإتيان بما يعرف أحسن"٦٣؛ لأن ما يُعرف من الألفاظ والمعاني أدعى إلى التأثير في نفس المتلقي.

مَثَّلَ التأثير في السامع (الملتقي) والسيطرة عليه عنصرا مهما، وحاسما في تحديد هذه الألفاظ والمعاني التي يجب أن تستخدم في الشعر، فهي مشروطة بأن تكون جمهورية مألوفة، يمكن إدراكها، والتأثر بها، فاشترط القرطاجني في المعاني " أن تكون إنسانية عامة مرتبطة باللذة والألم، وأحسن الأشياء التي تعرف، ويتأثر لها،

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

أو يتأثر بها، إذا عرفت هي الأشياء التي فطرت النفوس على استلذاذها أو التألم منها"٦٤.

لأجل هذا كان أكثر العناصر التي تستوقف قارئ منهاج البلغاء تركيز أبي الحسن القرطاجني الشديد على البحث في تأثير الشعر في النفوس٦٥، بل إن العبارات التي تربط بين الشعر ومكوناته من جانب وتأثيره في السامع) الملتقي (من جانب آخر هي الأكثر دورانًا في لغة القرطاجني الذي كان يُلِحُّ على البحث في كيفيات التأثير في المتلقي، وجعله يذعن لسطوة النص٦٦، ولذا فقد توقف عند سلسلة من العناصر التي يتوسل بها إلى بلوغ هذا الهدف، وهي في مجملها تتمحور حول خطة التمويه والاحتيال؛ لأن الغرض من الشعر والخطابة يتمثل في رأي حازم في "إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر بمقتضاه"٦٧.

لما كان هدف البلاغة التبليغ والبيان، والتواصل الناجح بين المرسل والمستقبل، تَوَجَّهَت رسالة البلاغة إلى المستمِع أو القارئ لتؤثِّر فيه، فمتى تحقق التناسب بين الموضوع والأسلوب تحقق وجه من أوجه البعد التداولي الجمالي للبلاغة تبعا لتحقق التناسب بين المقام والمقال والرسالة ولغتها، لذا قالوا: "البلاغة قول مُفْقِهٌ في لطف"٦٨.

يؤكد هذا القول ضرورة امتلاك المتكلم القدرة على التأثير في السامع، حتى يحقق نفيعة الخطاب؛ فاشترط الأسلوبيون على الكاتب حتى يُوصِّلَ ما يجول في فكره إلى المتلقي ضرورة تحقيق - ما يعرف في الدرس اللغوي الحديث - بالقدرة التواصلية، يقول هايمز (Hymse): "إنها قدرة الفرد على استعمال اللغة في سياق تواصلي لأداء أغراض تواصلية معيّنة"٦٩، أي: القدرة على استعمال اللغة في الأحوال الخطابية المختلفة، والأغراض المتباينة، لأن هذه القدرة التبليغية تؤخذ من وسائط معرفية، ونفسية، واجتماعية، وثقافية بناء على البيئة التي يعيش فيها المتكلم، فهي تساعد المتكلم على تنويع صور الخطاب بما يلائم المقام، والتعبير عن الأغراض المختلفة٧٠ بما يصور حالته النفسية.

"لكل انفعال نبضه الخاص، وأنماطه التعبيرية المميزة له"٧١، وتلمس شيئا من هذا الفهم في حديث النبي (ص) لأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، ففي الصحيحين، قال (ص): "إِنِّي أَعْرِفُ إِذَا كُنْت رَاضِيَةً عَنِّي، وَإِذَا كُنْت عَلَيَّ غَضْبَى، قَالَتْ: فَقُلْت: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ قَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْت عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّك تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّد، وَإِذَا كُنْت غَضْبَى قُلْت: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، قُلْت: أَجَلْ، وَاَللَّهِ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَك"٧٢، وهذا منه (ص) قراءة لاستعمالها (رضي الله عنها) اللغة في الأحوال الخطابية المختلفة.

إن ما ذكره هايمز (Hymse) يماثل ما أشار إليه بشر في صحيفته، يقول: "المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"٧٣، فقرروا "أن أول ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم"٧٤. وقد أشار أبو هلال إلى ضرورة مراعاة طبقة من تُخاطِبهم٧٥، وألزم الكاتب "أن يعرف مقدار المكتوب إليه، . . .، فتفرق بين من تكتب إليه بصفة الحال وذكر السلامة، وبين من تكتب إليه بتركها إجلالا وإعظامًا، وبين من تكتب إليه) أن أفعل كذا)، وبين من تكتب إليه) :نحن نفعل كذا)، ف(أنا) من كلام الإخوان والأشباه، و(نحن) من كلام الملوك"٧٦.

لقد نَبَّهَ القرطاجني إلى ضرورة لجوء منتج النص إلى التخييل واصطناع الصورة متى رأى أن الواقع لا يحدث تأثيرا في نفس المتلقي كما يحدثه التخييل، لذا "يجب أن يقصد في مدح صنف من الناس إلى الوصف الذي يليق به، وأن يعتمد في مدح واحد ممن يراد تقريظه ما يصلح له من تلك الفضائل وما تفرع عنها"٧٧، وفي هذا ضرورة مراعاة سياق المخاطب الثقافي والاجتماعي، حتى لو تطلب منه ذلك استعمال الأقاويل الكاذبة، والمبالغة في الوصف، وذلك حين يرى أن" الأحوال المقدرة التي يتخيلها أهز من الأحوال التي وقعت، فيبني قوله على الحال المخيلة الممكنة دون الواقعة، ليكون الكلام أشد موقعًا من النفس وعلوقًا بالقلب"٧٨.

لا شك أن هذا السياق يتحكم في إصدار الحكم على كثير من التعابير، لأن "أكثر ما يستحسن ويستقبح في علم البلاغة له اعتبارات شتى بحسب المواضع"٧٩، وكلُّ متكلم يصدر في كلامه عن علم خاص به، حيث يحمل كل حدث كلام - على رأي فندريس (Vendryes)٨٠ - أثرا انفعاليا، فالحدث الكلامي تعبير خاص ينتج انفعالا معينا، فلا يعطي شخص ما المعلومة ذاتها بطريقة واحدة إطلاقا، فليس يخفى على محلل النص أو متلقيه "أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا

الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنوع الصوت، بما يخرجه فيه مدا، أو علة، أو لينا، أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه، وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصواتها"٨١.

إننا في ضوء اللغة الانفعالية لا نستطيع أن نطبق التفكير المنطقي على اللغة دائما وبشكل صارم. إن المثل المنطقي الأعلى للنحو هو أن يوجد لكل وظيفة عبارة واحدة فقط، ولتحقيق هذا المثل يجب على اللغة أن تكون ثابتة ثبوت الجبر٨٢، ولكن الجمل ليست رموزا جبرية، فالانفعالية لا تنفك تغلف عبارة الفكر المنطقية وتلونها. ولذلك ينبغي لنا ألَّا نقصر اهتمامنا على الصورة التي تصاغ عليها الأفكار، وإنما ينبغي لنا أن نأخذ في الاعتبار العلاقات التي توجد بين هذه الأفكار وحساسية المتكلم.

من الأمور التي تراعى في هذا الباب اختلاف استقبال الكلمة من شخص إلى آخر؛ فلكل تجاربه وحياته، فمن شروط البلاغة حسن الموقع في نفس الجمهور٨٣، لهذا عيب على ذي الرمة مدحه عبد الملك بن مروان، حين قال في مفتتح قصيدته يخاطب نفسه:

مَا بَالُ عَينكَ منها الماءُ يَنسَكبُ
كأنَّهُ من كُلَى مفريَّةٍ سربُ

لأن عين عبد الملك كانت دائمة الدمع، فقال له: وما سؤالك عن هذا؟ فكرهه، وأمر بإخراجه٨٤.

يتجلى هذا البعد النفسي واضحا في دلالة الكلمة المركزية أو المضمون المنطقي، ودلالتها الهامشية أو المضمون النفسي، "لكل كلمة من الكلمات مضمون منطقي، ومضمون أو ارتباط نفسي، فالمضمون المنطقي هو المعنى الذي ينص عليه القاموس في الأغلب، يكون الاشتراك في فهمه واحدا أو شديد التقارب، ولكن المضمون أو الارتباط النفسي يختلف من متكلم لمتكلم اختلافا كبيرا، ولا يمنع هذا من اشتراك جمهور المتكلمين باللغة في طائفة كبيرة من إيحاءاته ومما يرتبط به من ظلال المعاني"٨٥.

في هذا القول إدراك أبعاد التداولية في الخطاب؛ فمراعاة المتلقي وحالته ومكانته الاجتماعية، والسياسية ضرورية؛ لإحراز المنفعة والفائدة من جهة، ونيل الرضا والقبول من الطرف الآخر من جهة ثانية، لهذا أقام القرطاجني اعتبارا للعرف عند العامة، فكان "يوصي باجتناب الألفاظ التي يفهم منها على حِدتها، أو مع ما يكتنفها معنى قبيح، ولو بالعرف العامي"٨٦، لذا عاب قول مروان في زبيدة بنت جعفر:

يَهُزُّهَا كُلُّ عِرْق مِنْ أَرُومَتِهَا
يَزْدَادُ طِيبًا إِذَا الْأَعْرَاقُ لَمْ تَطِب

ذلك؛ لأن لفظة (عرق) بعد قوله: يهزها قبيحة؛ بالنظر على ما هو متعارف عند العامة.

جعل علماء البلاغة رعاية مقتضى الحال ومراعاة الأعراف من المقاييس المهمة التي يقاس بها الكلام؛ ليتبين حسنه من قبحه، على قدر ما فيه من الرعاية أو عدمها، لأن جوهر البلاغة هو في مطابقة الحال، فنصوا على أن المراد بالحال في اصطلاح أهل المعاني "هو الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص؛ أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أهل المعنى خصوصية ما هي المسماة مقتضى الحال"٨٧، وأن المقام هو جملة الظروف العامة التي يتنزل فيها الخطاب، "ويتركب من المتكلم والمستمع ومن أنساقها المعرفية والإرادية والتقديرية، ومن علاقاتهما التفاعلية المختلفة"٨٨، لهذا قرروا أن بلاغة الكلام هي مطابقته مقتضى الحال مع فصاحته٨٩.

يقول أبو الحسن القرطاجني: "إنما يكون الوضع المؤثر، وضع الشيء الموضع اللائق به، وذلك يكون بالتوافق بين الألفاظ والمعاني والأغراض، من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام، متعلقًا ومقترنًا بما يجانسه ويناسبه ويلائمه من ذلك"٩٠؛ "ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام، إلى غير ذلك،. . .، وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له"٩١.

الحال - أيًّا كانت - لها أثر كبير في التعبير، وفي التصوير، وفي اختيار الألفاظ والأساليب. والله (Y) قد حث أصحاب رسوله (ص) على أن يخاطبوه بغير ما يخاطبون به غيره من الناس، فقال سبحانه: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾٩٢، وهذا مراعاة لمقامه، وضرورة اختلاف مخاطبته عن مخاطبة غيره. ومن يقف على الهدي النبوي يجده قد اهتمَّ باختيار الألفاظ، وبعدها عما يشينها، وضرورة ملاءمة

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المقام، ومراعاة أحوال المستمعين، واختيار الألفاظ لتوصيل المراد بمخاطبة المستمعين على مقدار عقولهم. وقد أشار إلى هذا الفهم أبو عثمان الجاحظ الذي يرى أنه " لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا ساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا إعرابيا، فإنَّ الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي"٩٣.

إن "شرط البلاغة والفصاحة حسن الموقع من نفوس الجمهور"٩٤، وهو ما اشترطه الباقلاني في فصاحة الكلمة يقول:" على المنشئ أن يوقع اختياره على ألفاظ قريبة في دلالتها على المراد، واضحة في إبانتها عن المعنى المطلوب، مع ملاحظة ألا يكون اللفظ مستكره المطلع على الأذن، ولا مستنكر المورد على النفس، حتى يتأبى بغرابته عن الإفهام، أو يمتنع بتعويض معناه عن الإبانة"٩٥.

إن هذا الفهم العميق لأبعاد التداولية، وتنويع المقال مراعاة أحوال المقام لا يبتعد عما ذهب إليه أرسطو في كتابه الخطابة٩٦ فهو يرى أن هناك ثلاثة أصناف من الخطابة؛ كما أن هناك ثلاثة أصناف من المستمعين، كما أن هناك ثلاثة أشياء ينبغي أن تراعى في الخطاب ألا وهي الخطيب، وموضوع الخطاب، والمستمع، إن الغاية النهائية هي هنا العنصر الأخير أي المستمع؛ وهذا ما طالب به رامان سلدن (Raman Selden) من الخطيب أن يراعيه، حيث اشترط فيه أن يكون ذا بصيرة، ليس فقط في الفكر، ولكن أيضا في الكلمات؛ لأن" نفس أنواع الكلمات أو الأفكار يجب ألا تستخدم في تصوير كل حالة أو ظرف من حالات الحياة وظروفها، كل طبقة، كل مكانة، أو كل عمر، والشيء نفسه ينطبق على المكان والوقت والجمهور، فالقاعدة في الخطابة هي نفسها في الحياة، تتمثل في ملاحظة الأصول والتقاليد، وهذا يعتمد على موضوع الحديث، وشخصية كل من المتحدث والجمهور"٩٧.

كان اهتمام الدرس البلاغي بضرورة الملاءمة بين صياغة النص وموضوعه ومتلقيه، والوظيفة التي يتقصد تحقيقها، ومن الأمر التي اعتنى بها البلاغيون والنقاد استهلال النصوص، وابتداء الأغراض، فأوجبوا أن تأتي العبارة تعاضد الغرض المنشود، وتكشف جماله المقصود، وتشد أزره، وتقوي مراده، فحذَّر البلاغيون من أن تأتي العبارة في صورة ما يضاد الغرض، فالزموا منتج النص أن يعتني بالاستهلال، ويحسن ابتداء غرضه؛ لأن استهلال النص هو دلائل البيان، والحامل الرسالة، وهو الذي "يدل على ما بعده، فهذه الوظائف التي يؤديها مفتتح النص أو البدايات كلها مؤشرات على أن الإقناع هو أول فعل من أفعال الاستهلال الجوهرية"٩٨.

ينبِّه الاستهلال السامع، ويوقظه لما هو آت، فهو "ليس عنصرا منفصلا عن بنية العمل الفني كله، كما يوهم موقعه في بدء الكلام، كما أنه ليس حالا سكونية يمكن عزلها، والتعامل معها كما لو كانت بنية مغلقة على ذاتها"٩٩. وقد وقف علماء العربية على ابتداء النص الأدبي، فأكدوا ضرورة الاهتمام بالابتداءات، وعابوا بعضها؛ إذ لم يحسن قائلها الاختيار، ومنها قول أبي تمام:

تَجَرَّعْ أَسًى قَدْ أَقْفَرَ الْجَرَعُ الْفَرْدُ

...

قال ابن الأثير: "إنما ألقى أبا تمام في مثل هذا المكروه؛ تتبعه للتجنيس بين تجرع والجرع، وهذا دأب الرجل فإنه كثيرًا ما يقع في مثل ذلك"١٠٠، وكذلك استقبح قول البحتري في مطلع قصيدة له:

فؤادٌ مَلاهُ الحُزْنُ حَتَّى تَصَدَّعا
وعَينانِ قال الشَّوقُ جُودَا معًا مَعَا

إن الذي يقرع سمعه هذا المعنى الحزين في بدء القصيدة لن يشك لحظة في أن الشاعر يرثي، ولكن الحقيقة أنه في مقام مدح، ولكنه لم يحسن الابتداء المناسب للمقام ١٠١. والأمثلة في كتب الأدب كثيرة، ومن نحو هذا ما حُكِي من أن ابن مقاتل الضرير دخل على الداعي العلوي في يوم المهرجان، وابتدأ في الهناء به، فقال:

لَا تَقُلْ بُشْرَى، وَلَكِنْ بُشْرَيَانِ
غُرَّةُ الدَّاعِي وَيَوْمُ الْمِهْرَجَانِ

قال ابن منقذ: "فأوجع ضربا، وقيل له: هلا قلت: إن تقل بشرى، فعندي بشريان"١٠٢.

إن نظرة في كتاب منهاج البلغاء؛ لكونه المنهج الذي جمع بين بلاغة الإقناع والتخييل يجد أن نظرة حازم القرطاجني إلى الوظيفة البلاغية في النص لا تخرج عن هذا التصور العام، حيث نظر إلى النص الشعري من زاوية نجاعته في تحقيق مقاصد منجزه، ومدى قدرته على التأثير في المتلقي وإقناعه، وهو ما جعله يولي عناية خاصة لما يمكن للكلام أن يمارسه من سلطة على متلقيه، فهو يؤكد ضرورة امتلاك منتج النص القدرة على التأثير في السامع، وتتجلى هذه القدرة في استخدامه وسائل تعبيرية، وبلاغية

محددة، تسهم في نقل الرسالة اللغوية الانفعالية في نفس المتكلم إلى نفس السامع للتأثير فيه، فالبلاغة عنده تحسن بالإفادة وقوة التأثير، وتكمن الوظيفة في فعل الكلام في متلقيه، إذ تنبع قيمته من ارتباطه بغرض، وسعيه إلى غاية.

انطلاقًا من هذا التأسيس يدرك منتج النص أنه مطالب بذكر ما لا يشين ذكره، فتأتي الألفاظ منسجمة مع الغرض، فلا بد أن يراعي مقامه، ويناسب مسرح قوله؛ لهذا عاب أبو الحسن القرطاجني استخدام أبي تمام كلمة (القفا)؛ لعدم مراعاته المقام، وذلك في قوله:

يَا أَبَا جَعْفَرٍ جُعلتُ فِدَاكَ
بَزَّ حُسْنَ الوجُوهِ حُسْنُ قَفَاكَا

لأن ذكر "القفا ليس يليق إلا بطريقة الذم، وكذلك الأخدع والقذال، فاستعمال هذه الألفاظ في المدح مكروه"١٠٣، وعيب وصف المتنبي أمَّ سيف الدولة بـ(مُسْبَطِرٌّ)؛ أي: ممتد، بعد قوله: (فَوقَك) قبيحة١٠٤، وهذا في قوله:

رِوَاقُ العِزِّ فَوقَك مُسْبَطِرٌّ
وَمُلْكُ عَلَيٍّ ابْنك في كَمَالِ

إن الوظيفة البلاغية لا يمكن إدراكها إلا من خلال الاهتمام بمختلف العناصر المكونة لعملية التواصل الأدبي، وهو ما دفع حازم القرطاجني - انطلاقًا من نظرته إلى النص الشعري من منظور تواصلي - إلى الاهتمام بالأطراف الثلاثة المؤسسة للتواصل الأدبي، والعملية التداولية، وهي:

أولا: المبدع أو المتكلم الذي يتحمل مسؤولية مآل نصه من حيث النجاعة، مما يتطلب منه - إلى جانب الطبع - الدربة في أنحاء التصاريف البلاغية والاتيان بوسائل التأثير في المتلقي.

ثانيا: المتلقي أو السامع، وتكمن وظيفته في فهم المعنى الملازم للنص، ويستجيب للمقاصد التي ضمنها المبدع في نصه، ويدرك أبعاد الدلالة الوضعية.

ثالثا: النص أو المقام التخاطبي الذي يقوم بوظيفة ترتكز على الخطاب من حيث الجودة والحسن، والسلامة، وهي الوظيفة البلاغية المتمثلة في التأثير والإقناع فضلا عما يضاف إليها من إمتاع باعثه ما يودعه المرسل من دلالات ضمنية أو إلزامية في دلالته الوضعية أو العرفية، مما يسوق المتلقي إلى فك رموز هذه الدلالات؛ للوصول إلى المعنى، أوبيان قصد المتكلم وغايته.

كان علماء العربية - ونصوصهم التراثية ناطقة بهذا - مدركين أبعاد القوة الحرفية المنجزة، وركائز نجاحها، وأن التعبير البليغ هو الذي يراعي مقتضى الحال؛ لأن المقصود من الكلام إفادة المخاطب والتأثير فيه؛ فالإلحاح على هذه الوظيفة، والنظر إلى النص من زاوية التواصل الجامع بين الإقناع والتأثير؛ وضرورة ربط المقال بالمقام، وملاءمته لمقتضى الحال، فانطلاقا من هذه الفلسفة عنوا بالمقام التواصلي بوصفه مقياسًا بلاغيًا يساعد على فهم النص، وتقدير نجاعته، فطالبوا الشاعر ومنتج النص بمراعاة الظروف الثقافية والاجتماعية التي ينجز في إطارها النص (مقتضى الحال الخارجي)، وما يترتب عن ذلك من مخاطبة كل طبقة من الناس حسب منزلتها الاجتماعية، وحظها من الجاه والسلطان، لهذا ينتقي المبدع أو المتكلم ألفاظ عبارته، وأن يحذر من أن تكون "للعبارة دلالة على أمر مكروه خارج عمَّا جيء بها للدلالة عليه، إما باشتراك وقع في اللفظ، وإما بعرف واستعمال حدث فيه ولو للعامة. فيجب أن يتحفظ من ذلك حيث تتهيأ تلك العبارة بنفسها أو مع ما يكتنف بها، لأن يفهم منها بحسب الاشتراك الواقع فيها، أو بحسب العرف والاستعمال أمر قبيح في حق ممدوح أو مندوب أو منسوب به أو نحو ذلك مما يكره في حقه القبح"١٠٥.

خاتمة العمل

تتقاطع أفكار علماء العربية مع مبادئ علم اللغة النفسي وما ينادي به الفلاسفة منظرو النظرية البرجماتية، فهم مجموعون على أن:

- اللغة ظاهرة اجتماعية، يوظفها الأفراد؛ لأداء المعاني بما يحقق الكفاية التبليغية التواصلية بين مستخدميها.
- عملية الحديث يتنازعها قطبان مهمان، هما: المعنى المُرَاد التحدث عنه، واللفظ المُعَبِّر عن هذا المعنى.
- اختلاف المعنى المراد التعبير عنه، يوجب تباين اللفظ، أو اختلاف الترتيب، فالنظم عملية فكرية لا بد له من عمليتين: الأولى: ترتيب المعاني في النفس. والأخرى: ترتيب الألفاظ في النطق.
- المواقف النفسية تؤثر في خطاب المتحدث فتكون جمله منتظمة أو مضطربة، وقد يسرد كلامه سريعا أو بطيئا.
- القوة الحرفية المتكلمة لا تلتزم - كثيرا - بقواعد اللغة المنطقية النحوية.
- الإفهام والإقناع أهم وظائف البلاغة وغايتها.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

هذا ويبقى لعلماء العربية فضل السبق إلى كثير من قضايا علم اللغة النفسي، ومبادئ النظرية التداولية، مع تأكيد أن عدم تصريح تراثنا العربي بمصطلحات علم اللغة النفسي، أو عدم تأسيس نظرية عربية صريحة لا يعني عدم إدراك علماء العربية أبعاد اللسانيات النفسية، وأسس النظرية التداولية، فقد وردت هذه الأصول في مقدمات مؤلفاتهم، وخصصوا لها أبوابا مطولة فعالج علماء العربية - باختلاف توجهاتهم - أدوات المنهج النفسي، وآليات النظرية التداولي، والاهتمام بما يسبق القوة الحرفية المنجزة من مثيرات نفسية، فيتلون الخطاب مراعيا أحوال المتكلم، وما يستدعيه الموقف.

الهوامش

١- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمبر. الكتاب، تحقيق إميل يعقوب. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٩. ج ١ ص ٢٤.

٢- محمد عزام. الأسلوبية منهجا نقديا. ط ١. دمشق: منشورات وزارة الثقافة. ١٩٨٩. ص ١١٣.

٣- سليمان ياقوت. منهج البحث اللغوي. ط ١. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. ٢٠٠٣. ص ١٨٠.

٤- حنفي بن عيسى. محاضرات في علم النفس اللغوي. ط ١. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ١٩٨٠. ١٣٧.

٥- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد. طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاّف. تحقيق إحسان عباس. ط ٢. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ١٩٨٧. ص ١٣٧.

٦- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. أسرار البلاغة. تحقيق وتعليق سعيد اللحام. ط ١. بيروت: دار الفكر العربي. ١٩٩٩. ص ٣٥.

٧- فندريس. اللغة. ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. د. ط. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٥٠. ص ١٩٣.

٨- المرجع السابق. ص ١٩٤.

٩- الشايب، فوزي. الخلط بين المستويات في المطابقة وأثر ذلك في الدرس النحوي. ص ١٧، البحث منشور على موقع: www.m-a-arabia.com

١٠- فندريس. اللغة. ص ١٩٤، ونوال عطية. علم النفس اللغوي. ط ١. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٨٢. ص ٧٧.

١١- توماس، سكوفل. علم اللغة النفسي. ترجمة عبد الرحمن العبدان. ط ١. الرياض: مركز السعوي للكتاب. ٢٠٠٤. ص ٣٠.

١٢- أحمد مختار عمر. علم الدلالة. ط ٥. القاهرة: عالم الكتب. ١٩٩٨. ص ١٠.

١٣- توماس. علم اللغة النفسي. ص ١٦.

١٤- جمعة سيد يوسف. سيكولوجية اللغة والمرض العقلي. سلسلة أعلام المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. ١٩٩٠م . ص ١٦.

١٥- فندريس. اللغة. ص ١٨٢.

١٦- العثمان، عبد الكريم محمد. الدراسات النفسية عند المسلمين الإمام الغزالي بوجه خاص. ط ٢. القاهرة: مكتبة وهبة. ١٩٨١، ص ٣.

١٧- لونش، نور الهدى. مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. د. ط. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث. ٢٠٠٦. ص ١٦٦.

١٨- العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم. علم اللغة النفسي. ط ١. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ٢٠٠٦. ص ٢٥.

١٩- المدني، علي محمد. البدل في الجملة العربية دراسة في ضوء علم اللغة النفسي. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. العدد: ٨٦. ١٩٩٩. ص ٣.

٢٠- عمايرة، خليل. في نحو اللغة وتراكيبها، المملكة العربية السعودية. ط ١. جدة: عالم المعرفة. ١٩٨٤. ص ٤٦.

٢١- الراجحي، عبده. النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج. د . ط. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. د. ت . ص ٣٧.

٢٢- أحمد مختار: علم الدلالة، ص ٦١ .

٢٣- يقول بلومفيلد: فبينما كان جاك وجيل يتمشيان في حديقة، رأت جيل تفاحة يانعة على شجرة طويلة، فطلبت من جاك أن يذهب ليقطفها لها، هذا المثير الخارجي جعل جيل تُحرك حنجرتها ولسانها وشفتيها (عملية كلامية) ، وهكذا فإن استجابة جيل لهذا المثير الخارجي تصبح إثارة أخرى لجاك، لذلك نرى جاك يتسلق الشجرة ليجلب التفاحة إلى جيل لتأكلها (الوعر، مازن. قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث. ط ١. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. ١٩٨٨. ص ٧٠، والسعران، محمود ، علم اللغة. مقدمة للقارئ العربي. د. ط. بيروت: دار النهضة العربية. د. ت ص ٣٠٦).

٢٤- جون ليونز. اللغة وعلم اللغة. ط ١. بيروت: دار النهضة العربية. ١٩٨١. ص ١٧، وحجازي، محمود فهمي. علم اللغة العربية. د. ط. القاهرة. دار قباء. ١٩٩٨. ص ٤٨، وسالم شاكر. مدخل إلى علم الدلالة. ترجمة محمد يحياتن. ط ١. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. ١٩٩٢. ص ٢٦.

٢٥- لونش. مباحث في علم اللغة، ص ١٦٦.

٢٦- أحمد مختار. علم الدلالة. ص ٢٤.

٢٧- حلمي خليل. العربية وعلم اللغة البنيوي. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. ١٩٩٦. ص ١٢٥.

٢٨- الوعر. قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث. ص ١١٥.

٢٩- المرجع السابق. ص ٨٨، وإسماعيل حميد. التراكيب التوليدية التحويلية في شعر الراعي النميري. ط ١. عمَّان: دار الراية للنشر والتوزيع. ٢٠١٠. ص ٢٤.

٣٠- عمايرة. في نحو اللغة وتراكيبها. ص ٥٦.

٣١- جون ليونز. اللغة وعلم اللغة. ص ٩٨، وجلال شمس الدين. مصطلحات علم اللغة النفسي. د. ط. الإسكندرية: مطبعة الانتصار. ٢٠٠٣. ص ٤٤١.

٣٢- المدني: البدل في الجملة العربية، ص ٣، ومحمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، القاهرة، دار غريب، ط ١، ٢٠٠١، ص ٩٢، وسليمان ياقوت: منهج البحث اللغوي. ص ١٦٩.

٣٣- الوعر. قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ١١٦، وأبو عاصي، حمدان رضوان. تراكيب أسلوب النداء في العربية (دراسة وصفية في ضوء علم اللغة التوليدي). مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد ١٦. العدد ١. يناير ٢٠٠٨، ص ٢١٣، وميشال زكريا. بحوث ألسنية عربية. ط ١. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. ١٩٩٢. ص ٤٧.

٣٤- داود عبده. محاضرات في علم اللغة النفسي. ط ١ . الكويت: المطبوعات الجامعية. ١٩٨٤. ص ١٠، وص ٥٦.

٣٥- روى ابن الأنباري: "أن الكِنْدِي المتفلسف ركب إلى المبرد وقال: إني أجد في كلام العرب حشوًا، أجد العرب تقول: (عبد الله قائم)، ثم يقولون: (إنَّ عبد الله قائم)، ثم يقولون: (إنَّ عبد الله لقائم). فقال المبرد: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ؛ فقولهم: (عبد الله قائم) إخبار عن قيامه، وقولهم: (إن عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل، وقولهم: (إن عبد الله لقائم) جواب عن إنكار منكر لقيامه" الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق سعد كريم الفقي. ط ١. مصر، المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع. ٢٠٠١. ص ص ٢٦٢-٢٦٣، والقلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا. تحقيق محمد شمس الدين. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٨٧. ج ١ ص ٢٢٣، وأحمد مطلوب: مناهج بلاغية، د. ط. الكويت: وكالة المطبوعات. ١٩٧٣ . ص ٩١.

٣٦- الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص ٢٧٠.

٣٧- فضل عباس. البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني). ط ٤. عَمَّان: دار الفرقان. ١٩٩٩. ص ٧١.

٣٨- ابن خلدون. المقدمة. ط ١. بيروت: دار صادر. ٢٠٠٠. ص ٤٤٦.

٣٩- العمري، محمد. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول. ط ١. الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق. ٢٠٠٥. ص ٢٨.

٤٠- شوقي ضيف. البلاغة تطور وتاريخ. ط ٢. القاهرة: دار المعارف. ١٩٦٥. ص ٥٨.

٤١- حمادي صمود. التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس الهجري. د . ط. تونس: منشورات الجامعة التونسية. ١٩٨١. ص ٣٠٠.

٤٢- عمر إدريس عبد المطلب. حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي. ط ١ . المملكة العربية السعودية: دار الجنادرية للنشر والتوزيع. ٢٠٠٩. ص ١٣٧.

٤٣- العمري. البلاغة العربية أصولها وامتداداها. ط ١. الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق. ١٩٩٩. ص ٢٩٣.

٤٤- الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين. ط ١. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ٢٠٠٩. ج ١ ص ٣٥.

٤٥- المرجع السابق. ج ١ ص ٦٤.

٤٦- المرجع السابق. ج ١ ص ٣٥.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

٤٧- العمري. البلاغة العربية. ص ٢١٢.

٤٨- بو بكري، راضية خفيف. التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقاربة نظرية. مجلة الموقف الأدبي. مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق. العدد ٣٩٩. يوليو ٢٠٠٤. ص ٣.

٤٩- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص ٧٥.

٥٠- القرطاجني، حازم. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة. ط ٣. بيروت : دار الغرب الإسلامي. ١٩٨٦. ص ص ١٠٧ - ١٠٨.

٥١- ابن خلدون. المقدمة. ص ٥٦٢.

٥٢- المرجع السابق. ص ٥٥١.

٥٣- ابن الأثير، نصر الله بن محمد. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق كامل محمد عويضة. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٨. ج ١ ص ٣٧.

٥٤- حبيب أعراب. الحجاج والاستدلال الحجاجي. مجلة عالم الفكر. وزارة الإعلام. الكويت. العدد ١. المجلد ٣٠. ٢٠٠١. ص ١٠٨.

٥٥- المرجع السابق. ص ١١٠.

٥٦- محمد العمري. البلاغة الجديدة. ص ٢٩.

٥٧- الجاحظ. البيان والتبيين. ج ١ ص ٣٩٤.

٥٨- الحميدي، محمد بن فتوح. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. تحقيق علي حسين البواب. ط ٢. بيروت: دار ابن حزم. ٢٠٠٢. ج ٤ ص ١٧٣.

٥٩- أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل. مسند أحمد بن حنبل، تحقيق السيد أبو المعاطي النوري. ط ١. بيروت: عالم الكتب. ١٩٩٨. ج ١ ص ٢٢.

٦٠- الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص ١٥٢.

٦١- ناعم عودة خضر. الأصول المعرفية لنظرية التلقي. ط ١. عَمَّان: دار الشروق. ١٩٩٧. ص ٦٥.

٦٢- الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١ ص ٣٩.

٦٣- القرطاجني. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص ٢٩.

٦٤- المرجع السابق. ص ٢١.

٦٥- الزعبي، زياد صالح. المتلقي عند حازم القرطاجني. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. المجلد ٩. العدد ١. ٢٠٠١. ص ٣٤٦.

٦٦- المرجع السابق، ص ٣٥٠.

٦٧- القرطاجني. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص ٣٦١.

٦٨- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله. الصناعتين الكتابة والشعر. تحقيق علي البجاوي ومحمد إبراهيم. ط ٢. بيروت: المكتبة العصرية. ١٩٨٩. ص ٥٧.

٦٩- عبد الرحمن الحاج صالح. الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية في الجامعات العربية. ندوة تعليم اللغة العربية. ١٩٨٤. ص ١٠.

٧٠- بو معزة، رابح. تيسير تعليمية النحو (رؤية في أساليب تطوير العملية التعليمية من منظور النظرية اللغوية). ط ١. القاهرة: عالم الكتب. ٢٠٠٩. ص ٣٨.

٧١- كولريدج، صمويل تايلور: النظرية الرومانتيكية في الشعر، سيرة أدبية لكولريدج. ترجمة عبد الحكيم حسان. ط ١. القاهرة: دار المعارف. ١٩٧١. ص ٣٠٢.

٧٢- الحميدي. الجمع بين الصحيحين. ج ٤ ص ٩٨.

٧٣- الجاحظ. البيان والتبيين. ج ١ ص ٨٦.

٧٤- ابن جني. الخصائص. تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠١، ج ١ ص ٨٤، وأبو هلال العسكري: الصناعتين، ص ١٧٢.

٧٥- أبو هلال العسكري: الصناعتين. ص ١٧٢.

٧٦- المرجع السابق. ص ١٧٥.

٧٧- القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص ١٧٠.

٧٨- المرجع السابق. ص ٨٢.

٧٩- المرجع السابق. ص ٨٨.

٨٠- فندريس: اللغة. ص ٩٧.

٨١- الرافعي، مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. ط ٨ . بيروت: دار الكتاب العربية. ٢٠٠٥. ص ١٤٩.

٨٢- فندريس. اللغة. ص ٢٠٢.

٨٣- القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص ٢٥.

٨٤- ابن رشيق القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ج ١ ص ٢٢٢، وابن الأثير. المثل السائر. ج ٣ ص ١٢١.

٨٥- محمود السعران. علم اللغة. ص ٢٧٨.

٨٦- القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء . ص ١٥٢.

٨٧- التهانوي، محمد بن علي. كشاف اصطلاحات الفنون. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٨. ص ١٢٥.

٨٨- طه عبد الرحمن. الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج. مجلة المناظرة. السنة ٢. العدد ٤. مايو ١٩٩١. ص ٦٩.

٨٩- الخطيب القزويني، جلال الدين بن سعد الدين. الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق عبد الحميد هنداوي. ط ١. القاهرة: مؤسسة المختار. ١٩٩٩. ص ١٢٢.

٩٠- القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص ١٥٣.

٩١- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة. ص ١٢٤.

٩٢- سورة النور: ٦٣.

٩٣- الجاحظ. البيان والتبيين. ج ١ ص ٩٠.

٩٤- القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص ٢٥.

٩٥- الباقلاني، محمد بن الطيب. إعجاز القرآن. تحقيق السيد أحمد صقر. ط ٥. القاهرة: دار المعارف. ١٩٨١. ص ١١٧.

٩٦- أرسطو طاليس. الخطابة. ترجمة عبد الرحمن بدوي. ط ١. بيروت: دار القلم. ١٩٧٩. ص ٩٣.

٩٧- عيد بلبع. نظرية بلاغة الحديث النبوي. مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة. العدد ٢٥. د. ت. ص ٢٢.

٩٨- القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص ٤٩.

٩٩- النصير، ياسين. الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي. ط ١. بغداد: دار الشؤون الثقافية. ١٩٩٣. ص ١٥.

١٠٠- ابن الأثير. المثل السائر. ج ٣ ص ١٢٢.

١٠١- المرجع السابق. ج ٣ ص ١٢٢.

١٠٢- أسامة بن منقذ. البديع في نقد الشعر. تحقيق أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد. د. ط . القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي. د. ت. ص ١٣١.

١٠٣- القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص ١٣٤.

١٠٤- المرجع السابق. ص ص ١٣٣ - ١٣٤.

١٠٥- المرجع السابق. ص ص ١٣٢ - ١٣٣.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2